مادة النص الأدبي المعاصر **جميع التخصصات**

المستوى: السنة الثانية ليسانس **الأستاذ: بن زياني**

محاضرة رقم:03

الحداثة الشعرية2

أدونيس (أنموذجا)

توطئة:

إنّ مسألة التجديد الشعري، كانت الشغل الشاغل لأدونيس منذ انطلاقه في مسيرته الشعرية، وذلك من خلال قصيدته(البعث والرماد) عام 1957م، وقد تجلى بصور أكثر من خلال قصيدة(أغاني مهيار الدمشقي) عام 1962م، لذلك يعد أدونيس في" طليعة الشعراء العرب، إذا لم نقل الرائد الأوّل، الذين طوّروا الشعر العربي المعاصر، من حيث الشكل واللغة والمضمون"، وعليه سنقف في هذه المحاضرة عند مظاهر التجديد في بناء القصيدة الحداثية عند أدونيس من خلال مستوى الشكل والمضمون.

تعريف بالشاعر والناقد والمفكر أدونيس : **علي أحمد سعيد إسبر** المعروف باسمه المستعار **أدونيس** شاعر سوري - لبناني ولد عام 1930م في قرية قصابين التابعة لمدينة جبلة في سوريا، تبنى اسم أدونيس (تيمناً بأسطورة أدونيس الفينيقية) تزوج من الأديبة خالدة سعيد ونال الجنسية اللبنانية مع أسرته في عام 1963.

ومن أهم أعماله الشعرية نذكر: قصائد أولى، أوراق في الريح، أغاني مهيار الدمشقي، وقت بين الرماد والورد.

ومن أهم دراساته نذكر: مقدمة للشعر العربي، زمن الشعر، الثابت والمتحول: بحث في الإبداع والإتباع عند العرب.

<u>أ) الشكل:</u> الشعر الجديد عند أدونيس يعني بالضرورة شكلا جديدا، لذلك نجده يقول:" الشعر يكون إبداعا متجدد أي شكلا جديدا، أو لا يكون إلاّ سلسلة من قوالب والأنماط"، ومن أهم مظاهر التجديد الشعري عند أدونيس على مستوى الشكل نجد ما يلي:

- **التجديد في اللغة (الانزياح اللغوّي):** حرّر أدونيس الكلمة وأعطاها الإمكانية لتحمل أكثر من معنى، وأراد أن يخرج من الخطاب الشعري المباشر وأن يتحدّث بلغة غير مباشرة (رمزية)، يقول أدونيس في شعره:

"كَمْ قُلت: جئت بلا طقوس
ووهَبْتُ نَفسي للجُموح، لكلّ رَفضٍ
كم قلت: أَخْرَقُ هذه اللغة الأمينة للأصول
أرجّ قاعدة الأصول".

لقد أتيح لأدونيس من خلال" محاولاته العديدة تطويع اللغة إلى حدّ إخراجها من قوالبها العقلانية".

- **عشوائية هيكل القصيدة:**لا يعرف هيكل القصيدة أو النصّ الشعري عند أدونيس شكلا معينا أو هيكلا محدّدا، تقول زوجته خالدة سعيد:" لا تستريح القصيدة عند أدونيس في شكل مستقر، فقصائده تاريخ من البحث والتجاوز وإعادة النظر". فقد يكتب ناحية اليمين حينا، ثمّ جزءا منها في الوسط حينا آخر، ثمّ تراه انتقل جهة اليسار، فلا نظام عنده في شكل الكتابة، فالخرقُ وعدم الالتزام هما النظام عند أدونيس، فهو القائل:

" بابلُ جئنا

نبني مُلْكًا آخر، جئنا

نعلن أنّ الشعر يقينُ

والخرْقُ نظامُ".

- **تجزيءُ القصيدة إلى مقاطع:** إنّ المتمعن لقصائد أدونيس يجدها تتسم بصفة المقطعية، إذ يكتفي بوضع الأرقام ليفصل بها بين أجزاء القصيدة الواحدة، وأحيانا يفصل بينها بترك بياض فقط، وهذه المقاطع لا تخضع لتساوٍ معين في عدد الأسطر فما بينها. وتعد قصيدة (أوراق في الريح) مثلا لتجزيء القصيدة عند أدونيس، إذ تتجزأ إلى تِسْعٍ وخمسين مقطعًا شعريًا، نذكر منها المقاطع الثلاثة الأولى:

1"

لأنّني أمشي

أدركني نعشي

2

أسير في الدّرب التي تُوصلُ الله

إلى الستائر المسدلة

لعلني أقدر أن أُبدله

3

قال خطْوي وردّدت أبعادي:

قد تكون الحياة أضيق من ثقب صغيرٍ في كومة من رماد".

- **التكرار:** التكرار من السّمات التي تطبع شعر أدونيس، وليس له موضعٌ ثابت، فأحيانا يكون في بدايات أسطر القصيدة أو في نهايتها، كما يوظف أوجه عديدة منه (كتكرار الحرف، الكلمة، الجملة، المقطع)، ومثال عن

التكرار المقطعي، نجده في قصيدة (الرياح المضيئة)، إذ يعيد المقطع الذي ابتدأ به القصيدة في ختامها في قوله:

"الرياحُ التي تطفئُ، الرياح المضيئه

لم تزل خلفنا بطيئه".

- **تحجيم القصيدة وتقزيمها:** إذا كانت القصيدة "في الشعر الكلاسيكي القديم، هي مجموعة أبيات شعرية، تتألف من سبعة أبيات وما فوق" فقد غدت القصيدة عند أدونيس تتكون من سطرين فقط أحيانا، كما هي عليه في قصيدة(سفَر)

التي جاء فيها:

" مُسافرٌ دونما حراك

يا شمس، من أين لي خُطاكِ؟".

- **التخلي عن موسيقى الشعر القديم إيقاعا و وزنا :** لقد سعى أدونيس إلى استحداث موسيقى جديدة للقصيدة الحديثة، من خلال الاشتغال على الإيقاع الداخلي بدلا من الإيقاع الخارجي، فأضحى يتصرف بعدد التفعيلات كما يشاء، مخضعًا طول السطر للمعنى ومتوقفا حيث يريد دون قيد أو شرط، غير عابئٍ بالقافية أو الروي اللذين يعتبرهما عامل تعطيل".

- **الصّمت اللغوّي:** وهو التعبير بطرق أخرى عوضًا عن اللغة، ويتمظهر ذلك عند أدونيس في ثلاثة مستويات وهي:

أ-النقاط الممتدّة: وقد تكون في أوّل السطر أو في نهايته.

ب-الخطّ: ويأتي في شكل مطّة صغيرة في أوّل السطر الشعري، كما قد تأتي في آخره.

ج-البياض: وهو بياض تام يأتي في أوّل السطر أو في نهايته.

ويبدو أنّ أدونيس من خلال توظيفه الصّمت اللغوي يرغب في أن" يشرك القارئ معه في إنتاج دلالة النّص الغائبة المتمثلة بالصّمت".

ب) المضمون: من أبرز مظاهر التجديد على مستوى المضمون عند أدونيس ما يلي:

- **تغييب المعنى وتشتيت الدّلالة وخلق الإبهام:** لا يقف أدونيس عند حدود المعنى الظاهر للكلام، بل يمضي دومًا إلى معنى آخر، يُدعى (معنى المعنى)، وقد يُحْدثُ هذا الانتقال تشويشًا للقارئ إبهامًا لديه، وهذا يُشير إلى أنّ أدونيس قد اعتمد في عمله الشعري على أهمّ مبادئ الحداثة، وهو" مبدأ لا يسمح إلاّ بتعدّد المعنى ولا

نهائيته وإرجائه، وهذا يذكر بالقول بأنّ مظهر التشتيت في النصّ الشعري الحداثي، إنّما صدى لأفكار الحداثة وما بعد الحداثة ومقولاتها".

- **تجلّي الصوفية:** ولع أدونيس بالصوفية، وأخذ يستخدمها في تنظيره وإبداعه، وما كتابه(الصوفية والسوريالية) إلاّ دليل على هذا وبرهان عليه، وتتمثل الصوفية كما يفهمها أدونيس في اللامقول واللامرئي واللامعروف، لأنّ عدم وجود نهاية للأشياء وعدم خضوعها للمحدودية والحصر هو ما يطمح إليه أدونيس، لينطلق نحو الاستمرار والكشف والاستشراف، لذلك " لم يجد أدونيس شائبة في مفهوم المعرفة المطلقة، ولكن استوحاه من الفكر الصوفي"، وقد استقى أدونيس من الصوفية أمورًا كثيرة، فأعجب بلغتها وعبّر بها، واستحسن صورها فحاكاها.

- **استحداث الصور:** لم يكتف أدونيس بما استوحاه من الصور الصوفية ومجازاتها، فقد راح يخلق صورا جديدةً، وينسب لنفسه ولأتباعه التميّز والأفضلية، ويُغيّبُ طريقة تصوير الشعراء التراثيين في قوله:" من هنا الفرق الحاسم بينا وبين التراثيين: لا يقدّم نتاجهم إلاّ صورة الصورة، أمّا نحن فنخلق صورة جديدة".

- **ابتكار الرموز وتوظيفها بكثرة:** إنّ المتمعن لشعر أدونيس يلاحظ كثرة الرموز التي يوظفها، " والرمز لديه هو الوجه الآخر للنص ، أو هو النص اللامرئي، أو المحتمل، أو الخفي". فالرمز عنده بمثابة المنظار الذي نرى به ما وراء النص، ويعد أدونيس" رائد الترميز، فقد لغم نصوصه الشعرية بكَوْمَةٍ من الرموز ذات دلالات متعدّدة".

- **بروز نزعة الحلم والاستشراف:** يجد أدونيس في الحلم أشياء عديدة تجعله يلوذ إليه ويستعين به، فيدرجه في عمله الإبداعي "ففي الحلم تتحطم الحدود المكانية والزمانية، وتصطدم الأشياء بعضها ببعض معبرة عن نفس الشاعر"، ويغلب على شعر أدونيس مفهوم الرؤيا التي يقابلها بالحلم، إذ هي البعد أو تجاوز لكلّ ما هو مادّي وواقعي، وهي عنصر أساسي من العناصر المنتجة لدلالة القصيدة الجديدة، أما الاستشراف فيقصد به النظرة المستقبلية، أي تجاوز ما هو كائن لبلوغ ما ينبغي أن يكون.

ولا شك أنّ مظاهر التجديد في شعر أدونيس (شكلا ومضمونا) هي التي تعكس وتترجم مفهومه للحداثة في الشعر العربي.